لقاء بلاموعد

د. عبد العزيز مرسي

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للطبع والنشر والتوزيع

لقاء بلا موعد

دار الأديب للطبع والنشر والتوزيع

المجموعة القصصية :لقاء بلا موعد

للدكتور / عبد العزيز مرسي

رقم الايداع :

(2020/19811) بدار الكتب المصرية

الترقيم الدولي :

((978-977-85763-4-4))

دار الأديب

Gmail: daraladeeb@Gmail.com

Tel: 002- 010144491

لقاء بلا موعد

مقدمة المؤلف :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى أهله وصحبه ومن ولاه وبعد :

يحوى هذا الكتاب بين جنباته مجموعة قصصية قصيرة عبارة عن حلقات متصلة منفصلة إتحدت أصلًا ؛ حيث نأيت بها عن الأفكار المتطرفة , أو المعادية للأديان والعقائد أو الأنظمة السياسية أو الألفاظ الخادشة للحياء أو المنافية للآداب , واختلفت فرعًا فمنها ماهو واقعى ومنها ماهو من نسج الخيال , حاولت فيها قدر الاستطاعة كتابتها بأسلوب بسيط للغاية بعيد كل البعد عن التعقيد حتى تؤدى الغرض المرجو منها , ولعلي أكون قد وفقت في ذلك .

وحسبي أن بذلت قصارَي جهدى , وإن كنت قد وفُقت فيما جمعت وأصبت في الذي صنعت ووضعت فذلك من عميم منن الله تعالي وجزيل فضله ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ، وما أجدر الإنسان بالإساءة والعيوب إذا لم يعصمه الله , وعذري أني مازالت أخطو أولي خطواتي في مدارج الكتابة والأدب .

أسأل الله العلى القدير أن يلهمنا الإخلاص والسداد فى العمل , ويهيئ لنا من أمرنا رشداً

إنه ولى ذلك وهو القادر عليه . د. عبد العزيز

إهداء

إلى من كانت . .

الدوحــة الوارفـة في الهجـير
والمـرفأ من كل الأعاصـير
وبلسم القلب إذا القلب كسير

إلى من كانت . .

أعـذب نبـع للحب بلا حدود
وأصفى منـهل للود بغير جحود
وفرحة اللقــاء كلما نعـود

إلى من كانت . .

أخلص من شكر لله في النعـماء
وأحسن من أسلم له في الضراء
وأطيب من رضي منه بالقضاء

إلى أمي التي رحلت .. أحب من كان لدى ..

ابنك الوفي دومًا
عبد العزيز..

همسة وفاء ..

تعبٌ كلها الحياة فما من نعمةٍ فيها إلا وهى منقوصة , وصدق ربنا - سبحانه وتعالى - إذ يقول : " لقد خلقنا الإنسان فى كبد "[1] . ومما يخفف من وطأتها رفقاء دربٍ كان لهم عظيمُ الأثر فى حياتنا , ورفيق دربى من نوعٍ خاص لم يعص لى أمرًا وشد من أزرى , وأعاننى على نوائب الدهر , ورفيقى هذا لم يكن من البشر ؛ بل أنه حذاء - لا أكثر ولا أقل - رافقنى فى حلى وترحالى , وعشنا معًا سنوات العسر واليسر , والأفراح والأتراح .

ذات يوم تاقت نفسه وأعلن عن رغبةٍ دفينةٍ حُرم منها منذ سنوات طوال - هى بالأساس رغبة مشروعة - أراد أن يدهن جلده - الذى أكل عليه الدهر وشرب بالورنيش , أراد أن يصلح ما أفسده الدهر ؛ ولكن هيهات هيهات , فعقارب الساعة أبدًا لا تعود إلى الوراء . ولا أخفى عليكم سرًا بأننى كنت على علم بهذه -

[1] - سورة البلد , (آية 4) .

الرغبة الدفينة , فقد كان بيننا عشق وتناغم قلما يحدث بين البشر , ولكننى لم أستطع ذلك لسوء الحال وكثرة الترحال فى طلب العلم من كل مكان .

وفى يومٍ صائف , شديد القيظ , تلفح حرارته الوجوه , ويصهر ما فى البطون ذهبت أنا وصاحبى نتريض قليلاً فى أحد شوارع القاهرة العامرة , ومن حُسن الطالع وجدنا صاحب حانوت ينثر المياه بيده أمام حانوته لكى يخفف من شدة هذا القيظ المستعر , فهمست فى أذن رفيق الدرب , وقلت له : مؤكدٌ أنك تعلم ما عقدت العزم عليه ؛ فسأذهب إلى صاحب الحانوت وأسأله أن ينثر عليك بعض قطرات من المياه فقليل من الماء يطهرك , وهذا جُهد المُقل .

وبالفعل هممت أن أطلب من صاحب الحانوت فعل ذلك , ولكن حيائى منعنى لغرابة مطلبى شكلاً وموضوعًا , كما أن صاحبى يعرفنى جيدًا ويعرف شدة هذا الأمر على نفسى , فقال لى : لا عليك يا صديقى , يَعِزُ علىَّ أن أراك منكسرًا هكذا من أجلى , إحفظ ماء وجهك , فأنا قد اعتدت على ذلك .

ولكن شاءت إرادة علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى , أن يقوم صاحب - الحانوت وبدون قصد - بنثر المياه على رفيقى , فكانت بردًا وسلامًا عليه وبدأت تدب فيه الحياة من جديد كدبيب النمل , أما أنا فكنت أشدُ فرحًا منه فـرح الغريب - بأوبةٍ وتلاقٍ , وأسررت إليه , وقلت لـــه : هنيئًا لك ماء الحياة , وضحكنا ضحـك طفلين معًا فعدونا فسبقنا الزمن , لنبدأ رحلة كفاح جديدة ..!

قلبٌ عاشق ..

كنت جالسًا بمحطة القطار , والأرض تشرق بنور ربها , والشمس تصحو من مخدعها وتداعب السماء بأشعتها الذهبية التى تبعث على الأمل والتفاؤل بإشراقة يومٍ جديد , حيث جرت عادتى السفر مبكرًا لمدينة القاهرة.

كنت اتصفح هاتفى الجوال لأكسر ملل انتظار القطار الذى لا يأتى أبدًا فى موعده إلا فى القليل النادر , وإن كنتُ قد تعودت على ذلك من كثرة وسفرى وترحالى لمدينة القاهرة بلد المحبوب التى أعشقها عشق الجسد للروح . وبعد أن ضقت ذرعًا من النظر فى هاتفى الجوال , وعندما تراخى بى الوقت , أطرقت هنينة أحدق بناظرى بمحطة القطار والمبانى التابعة لها على الرغم من أنى أحفظها عن ظهر قلب ولكنه الانتظار وما أدراكم ما الانتظار؟

وفى خِضَّم هذه المشاعر المضطربة , والنظرات العابرة على غير هُدى وفى لحظة استثنائية بل وفارقة فى حياتى وعلى غير سابق موعد ؛ فوجئت أن أشعة الشمس التى أرخت سدولها , قد اختفت من الوجود , وعاد القمر من جديد يصارع أشعتها بكل ما أوتى من قوة على الرغم من أنها هى التى وهبته الحياة بأمر ربها ولولاها لما شعر به أحد .

ولكن القمر الذى يصارع أشعة الشمس ليس القمر الذى نعرفه بل قمرٌ من نوعٍ خاص قمرٌ لفتاة عشرينية كأنها البدر فى ليل التمام ولست مبالغًا إن قلت : بل يزيد إنها حورية أطلت علينا من زمن الأساطير والأحلام التى طالما قرأت عنها فى قصص ألف ليلة وليلة وغيرها , كاد لبى يطير من فرط الجمال . ولأول مرة أحس قول الشاعر : عمر الخيام فى رباعياته , على لسان أم كلثوم " القلب قد أضناه عشق الجمال " .

وجال بخاطرى سؤالٌ لا يَقِرُ له قرار : هل هذه فتاة ككل الفتيات ؟ هل كل أترابها

لقاء بلا موعد

يمتلكن هذا الشعر الذهبى الذى يتمايل على كتفيها مزهوًا بنفسه , أم عيناها النجلاوين , أم وجهها الوضاء الذى لا تقوى على رؤيته من فرط الجمال , وماء الشباب الذى يتقاطر منه وجسمها الذى يشبه غصن البان فى طراوته ولينه والذى لا تملك أن تحيد النظر عنه مهما حدث , إلا إذا أحسست بالخجل من أن ترمقك هذه الحسناء الأسطورية بنظرة تعجب من نظراتك الفاحصة الماحصة المفعمة بالحب العذرى .

نظرات عاشق أخذت تتلاطمه أمواج العشق والهُيام , أمواج بحر لجى لا نهاية له من لحظات حبٌ بكر أتذوق حلاوتها لأول مرة فى حياتى , إنها لحظات نار الحب الذى طالما سخرت منه ومن أهله , لحظات شعرت خلالها بأنى طائرٌ محلقٌ فى سماء الحب , وسرحت ببصرى مسحورًا بهذا الجمال.

وإبَّان هذه اللحظات الحالمه المفعمة بالحب , قعدت أُلملم شتات نفسى واستجمع كل قواى لكى أعبر إليها شريط القطار, عبورًا يشبه عبور جنودنا البواسل قناة السويس , ولكن حيائى أجهض هذه المغامرة فى مهدها . وبينما أنا هائمٌ على

وجهى فى أحلام يقظةٍ لا نهاية لها , فإذا بهادم اللذات ومفرق الجماعات يعلن صافرة النهاية التى أنهت معها أجمل لحظات العمر , إنه قطار الموت لحبى الوليد الذى بدأ يلوح فى الأفق البعيد , يعلن عن نفسه بهذا الصوت الجهورى الذى يزلزل الأرض ومن عليها , أتى من بعيد وياليته لم يأت , أتى لكى يمزق قلبى ويذيقه ألم الفراق , وبرغم كل ذلك أتى ولسان حالى يقول له : رفقًا , رفقًا بقلبى الكسير ولكن أنىَّ له أن يشعر بأنينى وقلبى الذى يعتصره ألم الفراق.

أتى وأخذ معه محبوبتى , رحل ورحلت معه فتاتى الأسطورية حتى دون أن تشعر بوجودى , رحلت دون أن تشعر بما تركته فى نفسى من لوعة الحب ألم الفراق , رحل قطار النهاية أخذ معه قلبى الكسير , أخذ معه روحى بل أخذنى حتى من نفسى , وإذا ببعض ..

الدموع الحسيرة تنساب على وجنتى دون أن أشعر , دموعٌ لم أعهدها من قبل ؛ أنها دموع قلبٌ عاشق ذاق حلاوة الحب وألم الفراق فى آنٍ واحد, وبعد قليل أتى

قطارى الذى ركبته دون أن أدرى ؛ إلا قلبى أبىَّ أن يترك المكان الذى كُتب فيه تاريخ ميلاده , المكان الذى شعر فيه بأنه قلب نابض بالحياة , قال لى : ارحل أنت بسلام , أما أنا فباقٍ ههنا إلى أن تعود محبوبتى لكى تعيد إلىَّ الحياة من جديد ..!

الليلة الموعودة ..

فى ليلةٍ قمراء من ليالى الصيف فى قريتنا العامرة , أخذنا الوقت أنا وأخي الذي يكبرني بعامين , فظللنا نعمل فى الحقل معًا إلى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل وكل شىءٍ حولنا يتنفس أنفاس الطبيعة الصافية , والفطرة السمحة , لا صَنعة ولا زُخرف . وبعد أن بلغ بنا التعب مبلغه هممنا بالعودة إلى المنزل , ولكن وعلى حين غفلةٍ منا قفزت أمامنا مباشرةً قصة شجرة الجميز الملعونة التى تعترض طريقنا ولا مناص من العبور أمامها.تلكم الشجرة التى أحيطت بسياجٍ من القصص والأساطير التى ورثناها كابرًا عن كابر وتربينا عليها منذ نعومةِ أظفارنا.

وقد اتفقت فى معظمها على أنها مسكونة بالجن والعفاريت , ولكننا حاولنا عبثًا أن نتناسى أمرها. وفى عجلةٍ من أمرنا امتطينا صهوة حمارنا الذي نتوكأ

عليه ولنا فيه مآرب أخرى , وأخذنا شيئًا فشيئًا نقترب من هذه الشجرة العملاقة الضخمة التى تطاول عنان السماء , كالجبال الراسيات الشُّم , وارفة الظلال لدرجة أنها حجبت ضوء القمر الذي يسطع فى الرُبا , حتى أن الإنسان إذا أخرج يده لم يَكد يراها مما يزيدها مهابةً ورعبًا فى قلوب المارة كبيرهم وصغيرهم على حدٍ سواء . أخذ منا الرعب مأخذه , وضاقت علينا الأرض بما رحبت , وبلغت القلوب الحناجر , وأصبح الصمت الرهيب يخيم على المكان , وخشعت الأصوات فلا تسمع إلا همسًا , ومما زاد الطين بله أن الحمار توقف فجأةً - وبدون مقدمات - عن المسير , شاخص البصر جاحظ العينين , لا يحرك ساكنًا فعلمنا علم اليقين أنه رأى عفريتًا من الجن أو خُيل إليه ذلك , ونحن نعلم يقينًا أن الحيوانات ترى مالا يراه الناظرون من البشر .

تمنيت حينها لو أنى عُلمت منطق الطير أو على الأصح منطق الحيوان لأستشعر ماذا يرى حمارنا , ولكن هيهات ثم هيهات فهذه معجزة سُليمانية لم يُؤتها أحدٌ من العاملين . سمونا بأبصارنا إلى السماء نلتمس عندها الخلاص من

وعثاء الأرض , ومهابة الطريق , لا نملك عدةً غير الدعاء , ولا حيلةً إلا البكاء ولا عصمةً غير الرجاء , فعند السماء تفريج الكرب وتسلية النفس , وأردفت الدعاء الضارع ببعض غمغمةٍ من آياتِ من الذكر الحكيم , ولكنني من فــزع ليلتئذ نسيت كل ما حفظته , وإبَّان هذا الصمت الرهيب بدأت تتساقط بعض ثمار الجميز الفجة - التى نطلق عليه فى قريتنا اسم الباط - بكثرة حتى باتت قلوبنا تنخلع رعبًا فهمست فى أذن أخى بصوت من يصارع سكرات الموت , وقلت له : اضرب الحمار بكل قوةٍ لعله يتحرك وينجو بنا من هذا الموقف الرهيب الذى يجعل الولدان شيبًا .

فاستجاب أخى على الفور فراغ عليه ضربًا باليمين وبالشمال بكل ما أوتى من قوة من الأمام وأنا من الخلف , فانطلق الحمار بسرعةِ البرق كأنه نشط من عقال ثم ولينا مدبرين . وأخذ الحمار يجرى ويجرى ولكن من شدة الرعب الذى نكابده خُيّل إلينا أن الحمار يجرى إلى الخلف لا إلى الأمام ويعود بنا أدراجه مرة أخرى إلى هذه الشجرة المرعبة , أو أنه ثابت فى مكانه لا يتحرك , ونحن على هذه

الحالة بين خوفٍ ورجاءٍ , شمخت أمام أعيننا قطعة من الأرض المغروسة بغابةٍ كثيفةٍ من أشجار الموز , باسقات طلحها نضيد تضارع أشجار النخيل طولاً وضخامةً , فلا ندرى إلا والحمار قفز بنا فى منتصف ترعة ماؤها ضَحْضَاح على يمين الطريق.

ومن حُسن حظى أنى طُرحت أرضًا ولم أسقط فى المياه , وإذا بى انظر يمنة ويسره فلم أجد أخى ولم أجد الحمار.وبعد أن التقطت بعضًا من أنفاسي , وأخذت أدقق النظر ورميت ببصرى فى عرض الترعة فوجدت الحمار فى منتصفها لا يظهر منه سوى عُنقه ورأسه وأذنيه الكبيرتين , وبعد هنيهة من الوقت تراءى لى شيئًا آخر يتحرك فى الترعة فعلمت أنه أخى الذى كان مغطى تمامًا بسرابيل من الطين اللازب لم يظهر منه سوى عينيه , فمددت له يد العون مسرعًا وأخرجته مما كان فيه , ثم حاولنا بعد جهدٍ جهيد إخراج الحمار بسرعة حتى لا يتسرب الماء إلى أذنيه فيموت فى الحال , ولكن الله سلم , وأخرجناه بسلام حتى بلغ مأمنه وأصبحنا جميعًا فى موقف لا نُحسد عليه ..!

وما كدنا نتنفس الصُعَداء حتى خرجت علينا ثُلةٌ كبيرةٌ من الكلاب ينسلون إلينا من كل حدبٍ وصوب من بين أشجار الموز , وأحاطوا بنا من كل اتجاه إحاطة السُوار بالمعصم , وعلا نباحها ليُعلموا ربائب أنعمهم أنهم نعم الحارس الأمين كالهِر يحكى انتفاخًا صورة الأسد , وحينها قال لى أخى : ألزم الصمت ولا تسرع الخطى ؛ لأن فى ذلك هلكتنا . وظللنا نمشى الهوينا وبدأت الكلاب تبتعد عنا شيئًا فشيئًا حتى توارت بالحجاب .

وفى نهاية المطاف وبعد أن أضنانا التعب وصلنا إلى المنزل , وطرقنا الباب وفتحت لنا أُمنا على عجلةٍ من أمرها فلم تستطع أن تتفوه بكلمةٍ من هول ما رأت من حالتنا الرثة التى كنا عليها, اتجه أخى إلى البقعة التى تجلس فيها الأسرة فى الجانب الغربى من المنزل , ليلتقط أنفاسه , أما أنا فاتجهت مسرعًا إلى حجرتى ولم أستطع النوم إلا فى الهزيع الأخير من الليل , وفى صبيحة هذه الليلة الموعودة تذكرت كل ما حدث , وقلت فى نفسى : هل كل ما حدث لنا كان حقيقةً أم سرابًا ؟ أم

أنها القصص والأساطير التى ربت فينا منذ الطفولة الجبن , والوهم , والخوف من كل شىء حتى الحجرة التى تضمنا بين جنباتها , بل حتى الخوف من أنفسنا ..!

لقاءٌ بلا موعد ..

ما أيسر الغايات على دائبِ الطموح , ولاسيما إذا كان طموحًا علميًا , وصاحبنا فتىً من الأرياف قد جاهد فى ميدان البحث العلمى حق جهاده ؛ فكان يقطع مئات الأميال يوميًا من الإسكندرية إلى القاهرة , حتى أضانه التعب , وبعد حصوله على درجة الماجستير بهمةٍ ومضاء , وبلغ هواه وأدرك مناه ؛ قرر أن يسكن بمدينة القاهرة بمرحلة الدكتوراه , لكى يتجنب وعثاء السفر , ثم أفضى به المطاف واستقر به المُقام - بعد طول عناء - بمسكنٍ متواضعٍ بمدينة السلام بالقاهرة وقال فى حبورٍ وسرورٍ : الآن أصبحت أسكن بمدينة العلم والعلماء , وأبواب المكتبات والجامعات مفتحة لى الأبواب أنهل من نبعها الصافى الذى لا ينضب .

ولكن كان لزامًا عليه أن يسافر بالأتوبيس مسافةً كبيرةً من مدينة السلام حتى ميدان عبد المنعم رياض بمدينة القاهرة , ولكنه كان لا يشعر بأى تعب لاعتياده ذلك من كثرة سفره وترحاله , كما أنه مازال فى شرخ الشباب . فبعد أن يصل إلى

محطة الأتوبيس يقف مدة طويلة - ليس بسبب قلة الأتوبيسات فما أكثرها - لكى يجد الأتوبيس رخيص الثمن على حالته المتهالكة ؛ ولهذا يكون عبارة عن كَوَمةٍ من اللحم البشرى ؛ فيظل واقفًا من مدينة السلام حتى ينتهي به المطاف بميدان عبد المنعم رياض بالقاهرة .

ثم ينزل منه ويمشى مسافةً كبيرةً من ميدان عبد المنعم رياض حتى يصل إلى مكتبة دار الكتب برملة بولاق بمحاذاة كورنيش النيل , وعندما يصل إلى المكتبة يتوجه مباشرةً إلى قاعة الاطلاع الرئيسية , لينهل منها , ويعب من ذخائرها ويجنى من مجانيها ؛ لكى يميط عن نفسه بعض الجهالة , وصدأة الهموم , ويجلو عن العين غشاوة التبلد والركود.

وبعد انتهائه من المطالعة فى بطون المصادر والمراجع , يترك المكتبة فى تمام الساعة السابعة مساءً , ويعود أدراجه مرة أخرى سيرًا على الأقدام من أمام المكتبة حتى ميدان عبد المنعم رياض . ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد , بل فكان لزامًا عليه إذا وصل إلى الميدان أن يقطع مسافة أخرى سيرًا على الأقدام فى

الاتجاه المعاكس لأتوبيس مدينة السلام لكى يجد له مقعدًا يجلس عليه وإلا سوف يقف المسافة ذاتها حتى يصل إلى مدينة السلام .

ومن طريف ما يرو فى هذا الصدد أن بعد نجاح ذلك الشاب الريفى - غريب الوجه غريب اللسان - فى الحصول على مقعدٍ بالأتوبيس , والناس كيوم الحشر يتقاتلون لكى يحصلوا على مقعد, وهو جالسٌ على كرسيه يشعر بأنه ملكًا متوجًا يجلس على كرسى عرشه - ولم لا ؟ ! فانه حصل على صيدٍ صعب المنال فى دنيا القاهرة كثيرة الزحام , وبينما هو مزهوًا بنفسه - فإذا برجل خمسينى أصلع الرأس معه عصا يتوكأ عليها , يدخل الأتوبيس الذى لا يوجد فيه موضع لقدم , ويتسلل لواذًا من بين الركاب ويتجه نحوه مباشرةً وبدون تردد ويقول له بكل لامبالاة : لو سمحت يا أستاذ أنا رجلى تعبانى ممكن تقوم علشان أقعد مكانك " . فقال له الشاب : " حضرتك أنا منتظر الأتوبيس منذ أكثر من ساعة , كما أننى سرت أكثر من مائتى مترًا لكى أحصل على هذا المقعد " , ولكن الرجل وبكل برود أصعاب يُحسد عليه ظل يساومه حتى بدأ ينفد صبر الشاب كحبات الرمال من بين الأصابع

وفى نهاية الأمر ترك له الشاب الكرسى والأتوبيس كله ونزل منه لكى يقله أتوبيس آخر .

وبشق الأنفس استطاع الحصول على مقعد , فأَسَّر فى نفسه , وقال : هيهات أن أترك المقعد هذه المرة لأي إنسان كائنًا من كان , ولكنه فى قرارة نفسه يعلم يقينًا أن أخلاقة الريفية تأبَى عليه ذلك ؛ فهو ممزوج ومعجون بروح الريف وخصائصه التى تتميز بكرم الطبع , وطيبة النفس والتى تختلف تمام الاختلاف عن دنيا المدينة التى انجرفت فيها العادات والتقاليد إلى حدٍ كبير ؛ " فالإنسان موصول بماضيه , مشدودٌ دائمًا إلى جذوره العتيقة يحمل أثقاله حيث يكون , فكل ما يشاهده من قابل أيامه يراه بعين ماضيه " .

فى غبشة المغربية والشمس تبدو ككرةٍ من نار , أَذَّنّ الأتوبيس بالمسير متجهًا بسلام إلى مدينة السلام , والشاب مسترخٍ بعض الشىء من عنت المشقة ومكابدة العناء , ولازم النافذة لا يريم من مكانه , والأتوبيس ماضٍ فى طريقه يخترق شوارع القاهرة المزدحمة ينتهبها نهبًا , ويقف فى محطاته بانتظام -

الواحدة تلو الأخرى , حتى وصل إلى محطة العباسية قُبالة مسجد النور استرعى انتباهه صوتًا يبدو أنه لسيدة عجوز - قد تجاوزت السبعين من عمرها - يعلو صوتها تريد أن تركب فى الأتوبيس , فتوجس خِيفَةً فى نفسه من أن تأتى هذه السيدة العجوز وتقف بجواره , وبالطبع سيقوم ويُجلسها على الفور مكانه ولكنه قال : مستحيل أن تصل هذه السيدة إليه , فالأتوبيس عبارة عن كومةٍ من اللحم البشرى لا مكان فيه لقيد أنملة , فما بالكم بركاب جُدُد! وبعد أن طمأن نفسه وضع رأسه مرة أخرى على الكرسى الذى أمامه , وتحرك الأتوبيس , فتنهد تنهيدة كبيرة , وقال : الحمد لله من المؤكد أن السيدة العجوز قد وجدت لها مكانًا وسط الزحام , وبعد هنينة من الوقت فإذا بيدٍ ضعيفة - أشبه بيد طفلٍ لم يتجاوز العاشرة من عمره - تربت على كتفه وتقول له بصوت متهدج يخرج بالكاد : والنبي يا ابني ممكن أقعد مكانك " , حسبها فى بادىء ذى بدء أنه كمسرى الحافلة , فإذا به ينظر إليها فيجدها السيدة العجوز التى سمع صوتها منذ قليل

وبدت له من أول وهلة أنها سيدة عجوز - كما توقع - نحيلة الجسم , قصيرة القامة بظهرها انحناءة بسيطة , ووجه مشرق على الرغم من أن الزمن قد رسم عليه لوحة شرف من تجاعيد كفاح السنين , على ثغرها ابتسامة لا تبرح , ترتدي جلبابًا أسودًا وطرحةً على رأسها على غرار نساء الريف . انتابته الدهشة ولسان حاله يقول : كيف استطاعت هذه السيدة أن تمر وسط هذا الزحام الخانق - على ضعفها- وتصل إليه بكل سهولةٍ ويسرٍ ؟ .

ولكنه عندما دقق النظر فى ملامح وجها فإذا به يقف مشدوهًا من هول ما رأى حتى بات لا يحرك ساكنًا ؛ لأن هذه السيدة تشبه والدته - التى رحلت منذ عامٍ مضى - إلى حدٍ كبير بل تكاد تكون صورة طبق الأصل منها , فهطلت على رأسه زخات متتابعة من محراب الذكريات مستغرقًا فيها , حتى ترقرق الدمع فى عينه ولكنه تمالك نفسه حتى لا يلاحظ أحدٌ من الركاب ذلك , فقام على الفور وأمسك بيدها بكل رفقٍ ولينٍ وأجلسها مكانه أو بالأحرى أجلس أمه مكانه , وعندما جلست على الكرسى , جلست يمتطيها التعب داخلًا بها فى إغفاءة خارجًا بها من أخرى .

وبرغم أن ركبتاه قد تخللت من فرط ما عاناه من جهدٍ وصراع ؛ فكان بين تمايلٍ وتحاملٍ , وتضاغطٍ وتساقطٍ , لا يملك لنفسه من سكينة , ولا لجسده من قرار ؛ إلا أنه ولأول مرةٍ- تمنى أن يمتد به الطريق ولا ينتهى حتى يشبع عينيه من النظر إلى أمه التى تمثلت أمامه فى جسد السيدة العجوز , وأراد فى لحظة من لحظات ضعفه العاطفى أن ينكب عليها مقبلًا يدها ورأسها لاعتقادٍ منه أنها أمه التى عادت إليه لتؤنس وحشته , وتعينه على نوائب الدهر, ولكنه تمالك نفسه بالكاد وتحكم فى أعصابه , وأخذ ينظر إليها من طَرَفٍ خفى حتى لا يلفت انتباهها أو انتباه أحد الركاب الذين قد يظنون به الظنونا .

وبعد فترة ليست بالقصيرة تراءت له مدينة السلام , وجاءت على عجل محطة نزوله فنظر إليها , وقال لها بصوت مشوبًا بالحزن , ممتزجًا بالحنين : " أشوفك على خير يا ستى الحاجة , تسمحى لى أن أقول لك : يا أمى الغالية " فالتفت إليه وقالت له : بصوت الأم الحانى على رأسى يا ابنى تقول : يا أمى , وظلت تمطره بوابل من الأدعية التى تريح النفس وتفرج الكرب حتى نزل من الأتوبيس "

وتحرك بها الأتوبيس على وجه السرعة حتى غاب فى الأفق البعيد . أما هو فظل واقفًا فى مكانه , يعتصره شوق الحنين إلى ذكريات خلت , ولم لا ؟ فالذكريات صدى السنين !, وقال فى تعجب : هذا حُكم القدر مسطرًا منذ الأزل , وسيظل الحكم النافذ إلى غاية الأبد ؛ أن الدنيا بين اثنتين : " لقاءٌ بلا موعد , وفراقٌ بلا سبب " ..!.

سحائب الرحمة..

طفلٌ فى زهرة الصبا , وأوراقها الخضر الرطاب , على أعتاب السادسة من عمره هادئ الطباع , أشدُ حياءً من العذراء فى خدرها . وفى ظهيرة يومٍ شديد القيظ تلفح حرارته الوجوه كأن طاقة من نار السموم أطلت بجبينها عليه , ذهب هذا الطفل إلى بيت زوج عمته الذى يشيد بيتًا جديدًا مكان بيته البالى الذى - أكل عليه الدهر وشرب - شاخ ولفظ ألفاظه الأخيرة وأصبح أثرًا بعدعين.

ومن سوء طالع هذا الطفل , أن البنائيين والعمال والفواعليه , وكل من فى المنزل كانوا يتناولون غداءهم عند جارٍ ملاصق لهم , فتسلل لواذًا على حين غفلةٍ منهم , ودخل البناء الجديد يستكشف بقرون استشعاره معالم مواد البناء المكدسة فى كل مكان من طوب وأسمنت ورمل نحو ذلك , وبعد أنهى جولته السرية الاستطلاعية بسلام , فإذا به يلمح من بعيد بعينى عقله سلك كهربائى متدلى فى

زاوية إحدى غرف المنزل , فدخل من باب الحجرة , وأخذ يتخطى الأكوام المكدسة من الطوب الأحمر فى وسط الحجرة بشكل هرمى .

ومن حظه العاثر أن هذا السلك المشئوم يوجد به تيارٌ كهربائي ؛ لأنه كان موصلًا بعمود الكهرباء مباشرةً , وكان به الكثير من المواضع العارية غير المكسوة بالطبقة العازلة المعروفة , وإذا به يقترب شيئًا فشيئًا من مصيره المحتوم وبالفعل وصل إلى بُغيته المقصودة , وطفق يتلمس السلك - ببراءة الأطفال - مسحًا بيده ولا يدرى ماذا يخبئ له القدر ؟ فما كاد يلمسه - وهو لا يدرى المواضع المكشوفة بيده اليمنى حتى جذبه السلك وطرحه أرضًا مكبًا على وجهه بلا شفقة أو رحمة منبطحًا على بطنه والطوب أسفل منه وأصبحت رأسه فى زاوية الحجرة بين الجدارين , فأصيب بفزعٍ وجزعٍ شديد من هول الصدمة التى نزلت عليه كالصاعقة وحاول عبثًا أن ينقذ نفسه فأراد أن يخلص يده اليمنى من السلك بيده اليسرى فاذا بالتيار الكهربائي يمسك بيده اليسرى هى الأخرى , وأحكم وثاقه بيديه الضعيفتين الرقيقتين .

فإذا به يستغيث وينادى بأعلى صوته من شدة الألم لعل أحدا يسمعه أو يشعر به وينقذه من الموت المحقق لا محالة , ولكنه لا يعلم أن الكهرباء إذا أحكمت وثقاها بأحد ضحاياها لا يخرج الصوت منه أبدًا , أو ربما من هول الصدمة خُيّل إليه ذلك إنها لحظاتٌ فارقة بين الحياة والموت , وإذا بالأحداث تمضى تباعًا مسرعةً الخطى إلى المصير المحتوم , ولكنها كانت تمر عليه دهورًا وأعوامًا من شدة ألمها وقسوتها , فبدأ يهز رأسه يمنة ويسره من شدة الألم , وذلك تزامنًا مع قدميه التى كانت تتحرك مسرعةً إلى الأمام والخلف , ودقات قلبه التى كانت يسمع لها صوتًا كقرع الطبول , وضرباتٌ أشد من ضربات المطرقة , واجتمع عليه حر الزمان والمكان فى آنٍ واحد , فالشمس من فوقه كالآتون المشتعل , جعلت رأسه تغلى كغلى الحميم أو أشد , والطوب أسفل منه أشد حرارة من الحمم البركانية والتيار الكهربائى أخذ يلتهم أنامله الضعيفة التهامًا , وبدأ يشتم رائحة جلده الذى يشوى كشى الشاة على الجمر , رائحةً لم ينساها طوال حياته . آلامٌ مبرحة لا يعلم نهايتها

إلا علام الغيوب , آلامٌ أراد أن يتخلص منها ولو بالموت , وبدا هناك صراعًا معلنًا بين الحياة والموت .

وبعد مكابدةٍ وجهدٍ جهيدٍ من أجل البقاء - فالروح أثمن ما يمتلكه الإنسان أيقن أنه هالكٌ لا محالة , وفقد الأمل فى النجاة , فخارت قواه تباعًا ؛ فبدأ القلب يمهل الخطى ويدق بالكاد , والأقدام باتت لا تحرك ساكنًا , ولحق بهما الرأس فتوقف هو الآخر عن الحركة حتى الدموع جفت فى عينه من شدة الألم .

فإذا بسحائب الرحمة الإلهية تتنزل من السماء بردًا وسلامًا عليه , فاستجاب أرحم الراحمين لأنين وألم هذا الطفل الضعيف المسكين , وكشف ما به من ضر ونجاه من الغم والكرب العظيم , فانقطع التيار الكهربائى فجأةً بأمره - سبحانه وتعالى - وبدون تدخلٍ من أحد ؛ فكأنه نشط من عقال , وانزاحت عنه الجبال الرواسى , وبدأ يتنفس الصُعَداء ولاحت فى الأفق بوادر الأمل ترفرف على المكان بعدما خيمت عليه رائحة الموت المحق , وبدأ لأول مرة يتحكم فى حركاته وإن

لقاء بلا موعد

كانت بصعوبة بالغة , حركات وغمغمات كالذى يتخبطه الشيطان من المس , فكان يهزى من الأهوال الجسام التى كابدها على حداثة سِنّه . فشاهد بكل كيانه وجوارحه الموت يأتيه من كل مكان , ولم يجد بدًا من أن يزحف على بطنه ببطءٍ شديد كزحف السلحفاة مستندًا على مرفقيه ؛ لأن يديه كانتا شاخصتين إلى السماء وأنامله الضعيفة الرقيقة أصبحت أشد سوادًا من الليل الحالك الظُلمة ؛ فالتيار - الكهربائي أبَى أن يتركها إلا بعدما أجهز عليها تمامًا , وعلى الرغم من كل هذه المكابدة والآلام التى لا يتحملها الرجل القوى فما بالكم بطفل صغير ..! أخذ يحاول مرارًا وتكرارًا حتى وصل إلى منتصف الشارع قبالة باب المنزل الملعون .

وأخيرًا انتبه هؤلاء الغفلى إليه بعدما تركوه يصارع الموت وحده , فوقفوا مشدوهين مصدومين من هول الصدمة , كأنهم خُشبٌ مسنده , فهاجوا وماجوا وأرجفوا فى جنبات الشارع ذهابًا وإيابًا على غير هُدى , وتعالى الصراخ والعويل وبدأ الناس ينسلون من كل حدبٍ وصوبٍ يتتبعون مواطن الصراخ والعويل .

وفى نهاية الأمر أجمعوا أمرهم على أن يرسلوا واردهم إلى والدته ؛ لأن أباه كان يسعى على المعايش , فهو فقير الحال كثير العيال , وذهب نذير الشؤم إلى والدته عابس الوجه كأنه شيطان تجسد فى صورة إنسان , وعندما رأته أم الطفل أوجست فى نفسها خيفةً , وبدأ القلق يتسرب إلى قلبها ويشعر بانقباضه شديدة وأيقنت بقلب الأم أن هناك خطبٌ ما يحاك وراء الكواليس . فقال لها : رسول الشؤم تعالى على وجه السرعة إلى بيت نسيب زوجك لأمرٍ بالغ الأهمية , فهبت مسرعة الخطى تلقاء هذا المنزل الملعون لتستكشف المجهول حتى أنها نسيت طرحتها التى كانت تضعها على رأسها عندما تكون متأهبة للخروج من المنزل وتسارعت دقات قلبها مع خطاها السريع , بل وتعالت دقات قلبها تزامنًا مع دقات وليدها الجريح الذى يعانى سكرات الموت .

وعندما وصلت إلى بُغيتها ورأت هذا الجمع الغفير من الناس , علمت يقينًا أن من يلتفون حوله فى صمتٍ رهيب , كأن على رءوسهم الطير , هو فلذة كبدها

فبصرت به عن جُنب وهم لها مترقبون واجمون , مشفقون , خائفون , من هول الصدمة على هذه الأم المكلومة , فإذا بوليدها مفترشًا حجر عمته - التي كانت لا تقل عنها ألمًا وحزنًا - لا يحرك ساكنًا , ولكنه ينظر إليها نظر المغشى عليه من الموت , مكتفيًا بدموعه التى تنهمر على وجنتيه الذابلتين بلا توقف , ولونه الشاحب , فصاحت الأم بأعلى صوتها , وا كرباه , وا كرباه , وا كبداه , وا كبداه وا كبد أماه , ماذا فعلتم بوليدى ؟ ماذا فعلتم بقُرة عينى ؟ ماذا فعلتم بفلذة كبدى وقلبى , وروحى , وعقلى ؟ أهان عليكم إلى هذا الحد أن تتركوه يكابد كل هذه الأهوال الجسام وحده على صغر سِنه , لا سامحكم الله , والله لن أنساها لكم ما حييت وسأذكرها عنكم مابقيت .

وبلهفة الأم الثكلَى ضمت حُشاشة قلبها إلى صدرها الحنون - وهل هناك احن من صدر الأم فى الوجود ؟ ! - الذى كان يقطر دمًا وحزناً عليه , وأخذته مهرولةً مسرعةً به إلى الطبيب لعله ينقذه ويخفف ما به من جراح , وتعقبها الجمع الغفير من الناس عن بَكرة أبيهم .

وبعد ذلك بدأ هذا الطفل رحلة معاناة أخرى مع إزالة الآثار الناجمة عن هذه الحادثة المشهودة , فقد أحدثت جروحًا نفسية وعضوية لا تندمل بمرور السنين والأعوام , فغيرت حياته كلها وقلبتها رأسًا على عقب , أوجدت له غصةً ومرارةً فى حلقه , ولكنه كان يتذكر معها دائمًا آثار رحمة ربه عليه ولطفه به .

نار .. ورماد ..

كانت هناك قريةٌ مطمئنةٌ يأتها رزقها رغدًا من كل مكان , فيها من خصائص القرى سذاجةً وطلاقةً وجمال طبيعى وادع , البيوت متلاصقة ومتلاحمة مع بعضها البعض , والشوارع ضيقة عبارة عن أزقة وحوارى , مبنية من الطوب اللبن ومسقوفة بعروق من الخشب وأعواد من البوص , ومكدسةٌ ظهورها بأطنان من حزم حطب الذرة أو القطن وما شابه .

وفى صبيحةِ يومٌ دارت بالنحس أفلاكه , استيقظ أهل القرية مبكرين كعادتهم ؛ ولكنهم استشعروا أن هناك حدثٌ جلل سيحدث , فأصبح الكل مهمومًا حزينًا حتى إذا قابل أحدهم الآخر لم يُسِّلم عليه , وإذا سَلَّمَ لا يرد عليه الآخر السلام , كأنهم سكارى وما هم بسكارى , وساد القرية حالةٌ من السكون العظيم والهدوء المخيف

كأنهم موتى لا يسمع لهم ركزا , وعلى النقيض تمامًا كانت البهائم فى مراتعها دائمة الحركة لا يستقر لها حال على غير عادتها , والطيور فى حظائرها - على اختلاف أشكالها - أصبحت هى الأخرى فى هرج ومرج , كل ذلك كان إرهاصًا لكارثةٍ محققة ستعم بلواها هذه القرية .

استمرت الأمور هكذا بين وجوم وشرود , وهم وكرب , إلى أن أذن مؤذن للصلاة وعلت أصوات مآذن الإسلام بالله أكبر لكى يسرعوا لأداء صلاة الظهر فإذا بمناد ينادى من مسجد آخر فى الجانب الغربى من القرية , يحثهم على المضى قدمًا لإخماد حريق قد نشب فى أحد المنازل فى المنطقة المحيطة بالمسجد , فلبى نداء الاستغاثة جمعٌ غفيرٌ منهم لإخماد الحريق فى مهده , أما الباقون تكاسلوا ظننًا منهم أنها سحابة صيف عن قليلٍ تقشع , وأنه سيمر مرور الكرام كغيره ولكن هيهات ثم هيهات ؛ إنه حريقٌ ستكون له اليد العليا , وسيغير مجرى تاريخها وخريطتها على حدٍ سواء .

ومن الغرائب والعجائب أن الحريق فى بدايته كان وميض نار يوشك أن يكون لها ضرام ؛ ولكن فى طرفة عين تبدلت الأمور من حالٍ إلى حالٍ , فهبت ريحٌ عاصفٌ كادت تقتلع الأشجار من جذورها من عظم قوتها , ومن شدة الريح تطايرت حزم الحطب المشتعلة - التى كانت مكدسة على أسطح المنازل - فى جو السماء كتطاير الصحف , وأصبحت تطير من منزل إلى منزل فاشتعلت معظم البيوت على الفور وتعالت ألسنة النيران حتى وصلت عنان السماء , حتى أن الطير الصافات فى جو السماء قد احترقت هى الأخرى من شدة لهيب النيران , ومن سوء الحظ أنها سقطت هى الأخرى مشتعلة على أسطح المنازل التى لم تلحقها ألسنة النيران فاشتعلت هى الأخرى , فاجتمع حر الزمان وحر المكان فى آنٍ واحد , وأخذ الحريق يتعاظم ويتعاظم , وخرجت الأمور عن السيطرة , وفوض أهل القرية أمرهم إلى الله .

وأصبحوا فى هلعٍ وجزعٍ شديد , ووصل بهم الأمر من سوء أعمالهم ؛ أن قاموا بإلقاء أحمال الحطب إلى الشوارع والحوارى والأزقة حتى لا ينشب الحريق

فى منازلهم مما زاد الأمر سوءًا ؛ لأن هناك الكثير من أهالى القرية كانوا ينقذون ما يمكن إنقاذه من أثاثٍ ومتاعٍ حتى لا تلتهمه النيران , فإذا بهم وجدوا الشوارع والحوارى والأزقة قد أوصدت عليهم بأكوام الحطب المشتعلة كالجبال فيحل بينهم وبين ما يشتهون , وأحاط بهم الموت من كل مكان ..

فمن لم يمت حرقًا مات مختنقًا من أثر الدخان المتصاعد الذى بلغ من كثرته أنه حجب أشعة الشمس عن القرية بأكملها بل وعن القرى المجاورة أيضًا فماتوا جميعًا ومات الخبر , أما من نجا منهم فخرجوا سراعًا كالجراد المنتشر ناجين .. بأنفسهم من فزع يومئذ , وأصبحوا أشبه بيوم القيامة ؛ فبدأ المرء يفر من أخيه وأمه وأبيه , وصاحبته وبنيه , وفصيلته التى تؤويه , لكل امرئٍ منهم شأن يغنيه وأصبحوا فى هَمٍ وفى بلاءٍ تداولوه , من يلزم البيت يموت حرقًا , أو يشهد الناس يحرقوه , التهمت النيران كل شئ , الإنسان , والشجر , والدواب , والأنعام فلم تبق ولا تذر .

لقاء بلا موعد

أصبحت القرية عبارة عن كتلة من النار , لا يسمع فيها إلا النحيب والصراخ والعويل على فقد الأهل والأحباب , وأصبح يُشْتَم رائحة الموت فى كل مكان فجثث الضحايا المتفحمة كأعجاز النخل الخاوية تملأ الشوارع هنا وهناك , لا يُعرف الذكر من الأنثى , أو الشاب من الشيخ , ولقد رأى الناس عجبًا , من حال جثث الموتى , فقد وجدوا جثتين متفحمتين لأم ووليدها حالت بينهم النار وبين الفكاك منها , فلم تجد الأم بدًا بعدما علمت يقينًا أنها هالكة لا محالة هى ووليدها , فقامت باحتضانه بين ذراعيها , وضمته بكل قوة إلى صدرها لتصد النار بظهرها عنه وسلما أمرهما إلى الله , وأكلتهما النار , وهناك أمٌ أخرى هداها تفكيرها القاصر إلى وضع فلذات كبدها الأربع فى شكائر بلاستيكية ظنًا منها أنها بهذا سوف تحميهم من لهيب النار فالتهمتهم النار بالكلية , وأصبحوا عظامًا نخرة , وعندما علمت الأم بما كان من أمرهم لحقت بهم كمدًا عليهم , وهذا أبٌ آخر أخذ يحثو التراب على وجهه لفقد أسرته بأسرها فماتت الزوجة والأبناء والأحفاد , لم يُستدل

لهم على أثر , مما زاده ألمًا وحزنًا على حزن . وهناك أطفال فقدوا الأبوين والإخوة فأصبحوا فى لمح البصر أيتامًا مشردين بلا مأوى , فقدوا الأهل والأحباب والخلان والحنان والسكن , بل والأنكى من ذلك أن النار لم ترحم عروسين صبيحة ليلة عرسهما وألحقتهم بمن سبقوهم وما زالت أيديهما مخضبة بالحناء , أصبحت القرية خاويةٌ على عروشها , أمست خرابًا , وأفنى الموت أهليها , وتزاحمت المقابر بجثث الموتى من الأضداد.

وكالعادة علمت الجهات المختصة بالأمر متأخرًا , بعدما أكلت النيران الأخضر واليابس , وأصبحت القرية أثرًا بعد , كأن لم تغن بالأمس , فأرسلت على الفور أسطولًا من سيارات الإطفاء للسيطرة على هذه الكارثة المروعة التى اهتزت لها مصر عن بكرة أبيها لفظاعتها , وحاولوا - وبصعوبة بالغة - ولمدة أسبوع كامل السيطرة عليها , كلما أطفئوا نارًا اشتعلت أخرى . وعلى الفور أرسل المجلس

المحلى خيم الإيواء العاجل للمنكوبين , كما أسرع أهل القرى المجاورة - شاكرين بإرسال الإمدادات العاجلة من المواد الغذائية على اختلاف أنواعها , تضامنًا مع هذه القرية الثكلى أهلها.

ونظرًا للخراب الشامل الذى عم أهل هذه القرية التى أصبحت كومة من الرماد والبلوى التى لحقت بهم , أخذت الحكومة على عاتقها إعادة إعمارها من جديد استمرت لمدة ثلاث سنوات بتمامها , فعادوا إلى مساكنهم من جديد ولسان حالهم يقول : لا أنت أنت ولا الديار ديارى ؛ وظلت هذه الذكرى الأليمة عالقة بالأذهان ومنحوتةٌ فى الذاكرة ؛ لأنها سببت جرحًا لن يندمل بانقضاء السنون والأعوام حتى أصبحت تتوارثها الأجيال جيلًا بعد جيل , وباتوا يؤرخون بها كحادثةٍ عظيمة غيرت حياتهم وقلبتها رأسًا على عقب , على غرار عرب الجاهلية الذين كانوا يؤرخون بالأحداث العظام .

حلمٌ زائف ..

كان لى صديقٌ صدوق بأطايب المطاعم والمشارب شغوف , مَنَّ الله عليه بصحةٍ فى البدن , وكثرة فى الأكل , ومعدة هضوم , وضرس طحون , مع خفة فى الروح , وبراعة فى النكتة .

جاءني ذات يوم ضاحكًا مستبشرًا , وقال لى : هَلُّمَ بنا يا صديقى لحضور حفل عُرس نجل زميلنا العزيز . فقلت له : مازال الوقت مبكرًا . فقال مستنكرًا ! اعلم يا صديقي العزيز أن الحضور مبكرًا فيه خصالٌ محمودة , ودررٌ مكنونة , من بينها أنك تحضر أول مائدة ؛ فتأكل رءوس القدور , وكل شىء كثير , والقدور ملآنة والماء بارد , والطباخ نشيط , ولا يخفى عليك أطايب الأطعمة والأشربة , وصاحب الدعوة فرحٌ مسرورٌ .

لقاء بلا موعد

وبعد إلحاحٍ شديدٍ منه , توجهنا معًا إلى صاحب الدعوة , وعندما اقتربنا من المكان المخصص للعُرس السعيد توجهنا تلقاء زملينا فاستقبلنا أحسن استقبال مشرق الوجه باسم الثغر, لا تنضب على لسانه كلمات الترحيب والإيناس فى لباقةٍ وظرف , وأجلسنا على الأرائك المعدة لاستقبال المدعوين , واستبان لنا عند الجلوس أنه ليس مجرد حفل عُرسٍ بسيط , إنما هو حفلٌ ساهر, طاهر الذيل يمتد إلى بزوغ الفجر .

ومن حُسن طالعنا أجلسنا صاحب الدعوة قُبالة طاولة السُّفرة , فإذا بصديقى ينظر إليها نظرة حنين واشتياق , وأخذ يبكى , فقلت له ما يبكيك ؟ قال : أبكى شوقًا إليها. ودارت علينا المرطبات المنعشات نشفى بها غُلتنا إلى أن يحين موعد المأدبة على أصوات ألحان موسيقية صافية النغم , كأنها شقشقة الطير الغادى مع الفجر . وبعد هنيهة أهَلَّ علينا الطباخ ومعه أحد مساعديه , فإذا بصاحبى , يقول : الله أكبر , الله أكبر , ها قد جاء بِشْرٌ وبَشِيرٌ , ويبدو على هذا الطباخ أنه ماهرٌ فى

صنعته , عارفًا بقوانين الطبخ كأنه خبير كيميائى , نظيفُ الكف نقىُ الظُفر , عَطِرُ الرائحة , جميل الوجه , دقيق القسمات , تظهر عليه نضرة النعيم , نظيف الملبس وقد قام هذا الطباخ ومساعدوه فى تهيئة المائدة بفن ومهارة فائقة على أجمل ما يكون , وحشدها بأفخر أنواع الأطعمة وأشهاها بطريقة تدعو إلى حَيْرة العقول والأبصار .

وقاموا بإعدادها على النحو التالي : بدأوا برص الأطباق والصحون والصحائف المتعددة الأنواع من الصيني والخزف والزجاج ونحو ذلك , ثم قاموا بصف أطباق اللحوم والحلويات ثم نظموا الأطباق الصغيرة المترعة بأصناف المطاعم والمشارب المنعشات فى الفراغات التى بين الأطباق الكبيرة , بينما رصوا الخبر على امتداد حافتى السفرة , ثم قاموا بوضع الأكواب والملاعق وبعض والشوك والسكاكين بطريقة هندسية متساوية , ووضعوا بعد ذلك أطباق الفاكهة المعروفة فى حينها , وأحاطوها بعد ذلك بالورود والأزاهير النواضر ؛ لِمَا لها من تأثير ووقع فى النفس , ولطف ومؤانسة , وتهذيب الخُلق والجمال .

لقاء بلا موعد

وبعد أن انتهوا من إعداد السفرة بهذه الطريقة البديعة , فى جوٍ مشرقٍ تشيع فيه البهجة والإيناس صافح أسماعنا صوت صاحب الدعوة , وقال بصوت عالٍ : اتفضلوا ياجماعة السفرة جاهزة " فإذا بصاحبى يقول : الله , الله , الله , الله أعد يا سيدي أعد ! فنشط جميع المدعوين - ونحن من بينهم بطبيعة الحال – والتأموا حول السفرة سماطين , والتحمت الأكتاف بالأكتاف كأنهم بنيانٌ مرصوص . وكاد صاحبى يطير من الفرح ؛ لأنه قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى ما يرنو إليه وبدأ ينظر من طرف خفى إلى السفرة ولسان حاله يقول : ها قد حانت ساعة البطون ! ولكن حدث مالم يُحمد عُقباه , وأتت الرياح بما لا تشتهى السفن , حيث بدأ بعض المدعوين يمزحون على عادة أهل الريف , وبدأوا يتبادلون القفشات المشفوعة بالنكات المضحكة , التى كلها نشوةٌ وأُنسٌ ومزاح , وتعالى التضاحك والتصايح والتغنى فى سعادةٍ غامرة , ولكن بعد هنيهة من الوقت بدأت النكات تخرج عن المألوف وبلغ بهم السخف أن باتوا يقهقهون على النكات وإن باخت وكانت أبردِ من ليل الشتاء , مما أدى انزعاج بعضهم .

وأصبح الجو ملبدًا بالغيوم , فانقلب المزاح البرئ إلى شجار , وهاجوا وماجوا وكاد قلب صاحبنا أن يتوقف عن النبط من هول الصدمة , مما جعله يندفع بكل قوةٍ لتهدئة الموقف , ولكن دون جدوى , وتطور الوضع إلى التراشق بالألفاظ والأطباق المترعة بما فيها بألوان الطعام والشراب والحلوى , وإذا بجملة من هذه الأطباق الطائرة المجهولة الهُوية تستقر بسلام على رأس صاحبى ووجهه حتى ضاعت معالمه , بل ومن حظه العاثر - أيضًا - أن إصبعه نفذ سهوًا فى فم أحد المتشاحنين , فقرم إصبعه بأسنانه قرمة كاد معها أن يقطع إصبعه , ومن شدة ألمه صرخ صرخة كهزيم الرعد الذى يرتج له الفضاء , فصمت الجميع من شدة الصرخة , وذهبت إليه مسرعًا – حيث كنت أنا الآخر منهمكًا فى كبح جماع هذه المعركة حامية الوطيس – لأرى ماذا حدث له وأضمد حراجه , وأسرعت به إلى الطبيب لاتخاذ ما يلزم لعلاجه , وبينما نحن فى طريقنا إلى الطبيب المعالج , فإذا به تعتليه حسرات فقد ضاعت المأدبة التى طالما مَنَّى نفسه بها طويلًا , وإصبعه

الذى كاد يُقطع ضحية هذا الحلم الوردى الذى أُجهض فى مهده , وإذا به يقول بصوت حزين كسير : " يا فرحة ما تمت خدها الغراب وطار " . أما أنا فلم أتمالك نفسى ودخلت فى حالة هستيرية من الضحك المتواصل حتى كدت أقع على الارض وقلت له : بصوتٍ متهدج من كثرة الضحك وبصعوبة بالغة .. تعيش وتأخد غيرها..!!

خيرُ متاع ..

دخل الأستاذ سمير شقته فرحًا مسرورًا , وقال فى نفسه : الآن أعيش كما أريد بكل حرية , افعل ما أشاء , وقتما أشاء , ولم لا ؟ فأم العيال ذهبت إلى والدتها المريضة , وهأنذا أمرح فى الشقة طولًا وعرضًا , وارتدى المعطف , وأدثر بالشَّملة , وأحكم على رأسه الطرطور , ولف حول عنقه اللفاع , وارتمى بكل سعادة و أريحية على سريره , ينشد المتعة والاسترواح , وأخذ تنهيده طويلة وقال الآن ألقى أحمال المتاعب عن كاهلى , أتخلى عن الشواغل والتصاريف التى تحوطنى , تاركًا إياها خلفى , متلمسًا صفو الراحة والجمام , لا زوجة , لا أولاد لا ضوضاء , هدوءٌ تام .

فإذا به لم يغمض له جفن , وأصابه أرقٌ وقلقٌ شديد , فتارة ينام على جنبه الأيمن , وتارة ينام على جنبه الأيسر , وتارة ينام على ظهره , ويضع قدمه اليمنى على قدمه اليسرى ومرة أخرى اليسرى على اليمنى , لا يستقر له حال , وفى

نهاية المطاف , جلس متكئًا على سريره , وأخذ يهرش فى ذقنه فيسمع لها صوتًا (ويش ويش) , وبعدها أنار الأباجورة على الكومودينو الملاصقة لسريره وتناول علبة السجائر , وأخرج منها سيجارة , وأشعلها بالمقدحة , وعند أول نفس منها , أصابه ضيقٌ فى التنفس واختناق شديد , كادت روحه تخرج على إثره ,كأنه أول مرة يدخن فيها السجائر على الرغم من أنه يدخنها منذ شرخ الشباب , فتناول مسرعًا رشفة ماء من الكوب الموضوع على الكومودينو , فشعر بارتياح بعض الشىء .

وأخذ ينظر إلى سقف حجرته , وبين الحين والحين يصبه بعض السعال من آثر السيجارة التى شربها منذ قليل , وفى هذه اللحظة تذكر زوجته الحنون وأولاده فشعر بحزنٍ شديدٍ على عكس توقعاته . وبدأ يشعر بليلٍ طويلٍ حتى أنه ضاق ذرعًا بهذا الليل الطويل المكسال , بل ذلك القعيد العتيد الذى يتشبث بمجلسه لا يتحلل عنه , يفتات على النهار غير آبهٍ , يغتصب حقه فى جسارة واجتراء , والنهار واقفٌ منه وقفة الصاغر الذليل خلف الأفق مسترقًا فى الحين بعد الحين نظرة

الخنـق إلـى ذلـك الليـل المسـتبد الغشـوم , الـذى لا يـأذن لـه فـى الظهـور إلا فتـرة متضائلة يتعثر فيها البدء بالخاتم , وفى خِضم هذه المشاعر المتلاطمة تلاطم الأمواج , حاول أن ينام بصعوبة حتى أخذتـه إغفـاءة بسيطة , فإذا بنـور الصباح أخيرًا - يلوح فى الأفق وأشعة الشمس تتسلل إلى داخل الشقة رويدًا رويدًا , فإذا بـه ينـتفض مـن علـى سريره ؛ لأنـه ولأول مـرة - منـذ زواجـه - يتـأخر عن عملـه فذهب إلى المرحاض مرتبكًا فى عجلـةٍ من أمره , ثم خرج منـه , وتوضأ وصلى الصبح علـى غيـر عادتـه - أيضًـا - لأنـه اعتـاد علـى أن زوجتـه كانـت توقظـه دائمًـا لصلاةِ الفجر .

على أية حال صلى الصبح , وأراد أن يرتدى بدلتـه , فلـم يجد أى شـىء منـها فـى مكانـه ؛ فالجاكت فـى نـاحيـة , والبنطـال فـى نـاحيـة , ورابطـة العنـق فـى نـاحيـة أخرى حتى الجورب لـم يسلم من يـد الإهمـال التـى أصـابت الشـقة بأسرها , فجمـع على عجلةٍ من أمره أشلاء بدلته المتناثرة هنـا وهنـاك بشكل عشوائى غير مرتـب ثم أخذ هاتفه الجوال من علـى الكومودينـو , , وولـى مـدبرًا ولـم يعقب إلـى شركته

الحكومية التى يعمل بها , ففوصل متأخرًا نصف ساعة عن موعده , فدخل إلى مكتبه بسرعة حتى لا يلاحظ مديره فى العمل ذلك , ثم نادى على العم عثمان فرَّاش المكتب , فلبى العم عثمان النداء فى الحال , ودخل عليه المكتب فهاله الحالة الرثة التى عليها الأستاذ سمير , ؛ فوجده أشعث الرأس , غير مهندمًا فى ملبسه على غير عادته .

حيث كان مضربًا للأمثال فى شياكته وأناقته , وقال له العم عثمان : ما بك يا أستاذ سمير ؟ أحدث لك مكروه ؟ فأجابه مضطربًا , لا شىء البتة . ولكن احضر لى فطورًا دسمًا , وكوبًا من الشاى على وجه السرعة , فازدادت دهشة العم عثمان ؛ لأن هذه أول مرة يتناول فيها الأستاذ سمير إفطاره خارج منزله , , وبعد تناوله وجبة الإفطار , أخذ الموظفون يتوافدون على مكتبه لكى يحصلوا على رواتبهم الشهرية ؛ فاليوم ميعاد صرفه , وعندما هَمَّ بفتح خزانة النقود المسئول عنها , فإذا به لم يجد الميدالية التى يضع فيها المفاتيح , وأخذ يبحث عنها فى كل منطقة من جسمه , ويتحسس جيوب بدلته جيبًا جيبًا , فلم يجد شيئًا , ثم أخذ

يفتش فى الأوراق التى على مكتبه أو فى أدراجه , ولكن دون جدوى , فضرب يده على جبهته , وقال : أخ , لابد أنى نسيتها على الكومودينو بالشقة , فرد عليه أحد الموظفين الذين أتوا للحصول على رواتبهم , وما يدريك أنك نسيتها فعلا فى الشقة , ربما سقطت من جيبك وأنت قادم إلى الشركة , أو لعل أحد اللصوص كان يراقبك منذ فترة طويلة , واليوم فقط استطاع سرقة ميدالية المفاتيح منك وأنت لا تدرى ؛ لكى يظفر بهذا الصيد السمين من رواتب الموظفين .

فأصاب الأستاذ سمير القلق والهلع والجزع الشديد ؛ لأن الميدالية بها مفاتيح خزانة النقود , ومفاتيح الشقة , ومفاتيح كل متعلقاته الشخصية , فهرول مسرعًا إلى مدير الشركة الذى علم بالأمر فى تَوِه وحينه , وأطلعه على الأمر برمته واشفع ذلك بأن طلب من مديره أن يكتب له إذن خروج لكى يذهب إلى شقته لعله يجد المفاتيح بها , فأذن له على الفور ؛ لأنه كان أشد قلقًا من الأستاذ سمير على رواتب الموظفين أو بالأحرى راتبه , ولكى يتم الأمر على وجه السرعة , أمر المدير سائقه الخاص بأن يذهب معه إلى حيث يريد , وبالفعل نفذ السائق طلب

لقاء بلا موعد

مديره على الفور , وركبا معًا السيارة واتجها إلى الشقة , ولكن صاحبنا استأذن السائق , بأن يصطحب معه أحد النجارين ؛ لكى يكسر كالون الشقة حتى يستطيع الدخول إليها , وبالفعل اصطحب معه النجار إلى شقته , أما السائق فقد أوصلهما وَقَفَل عائدًا مرةً أخرى إلى مديره بالشركة , واستطاع النجار تنفيذ مهمته بنجاح وأعطاه سمير حسابه وذهب إلى حال سبيله , دخل سمير شقته على الفور وتوجه لاشعوريًا إلى غرفة نومه , فوجد ميدالية المفاتيح كما توقع فى مكانها علىالكومودينو , فتنفس الصعداء وحمد الله كثيرًا , واتصل بمديره لكى يزف إليه هذه البشرى السارة , ولاسيما أنه يعلم جيدًا القلق الذى انتابه , ففرح المدير فرحًا شديدًا حتى قال له : لا داعى للعودة إلى العمل اليوم على أن تأتى غدًا فى موعدك فشكره الأستاذ سمير على جميل صنعيه , وكرم أخلاقه معه .

وقام بخلع ملابسه ونام على كنبة أوضة الصالون , وبعد فترة قصير من الوقت انتبه على صوت ضوضاء وغلبة وجلبة , فإذا بزوجته وأولاده قد عادوا مرة ـ

أخرى من عند والدتها , فهال زوجته الحالة الرثة التى كانت عليها الشقة ؛ فكانت تِضْرَب تِقْلِب حتى أنها ظنت أنها دخلت شقة أخرى غير شقتها , فكل شىء غير مرتب ولا يوجد شيئًا واحدًا فى مكانه , , فوقفت مشدوهه فى حَيَرة من أمرها ولكن زوجها لم يتركها كثيرًا فى هذه الحيرة , وقص عليها ما قد كان , وإذا بها تقول له وهى تضحك : " فداك الدنيا كلها , ولكن لماذا لم تتصل بى يا فالح ؟ ألا تعلم أنى معى نسخة من مفاتيح الشقة " , فإذا به يقلب كفيه , ويقول بصوت كله تعجب : كيف فات علىَّ هذا الأمر ؟ ! " فعلا يموت المعلم ولا يتعلم " ! ثم نظر إلى زوجته نظرة كلها حب وحنان واحترام , وقبلها فى جبينها , وقبل رءوس فلذات كبده , وقال بصوت كله شجن : لا حرمنى الله منكم أبدًا يا قرة العين , كم كانت لحظات عصيبة مرت علىَّ بدونكم , مرت كأنها دهرًا ..!

اللقـــاء الأخـــير ..

تقابل شابٌ وفتاة في مقتبل العمر , ونشأت بينهما قصة حب , فأحب الشاب الفتاة , فبادلته حبًا بحب , وكاد أن ينتهى هذا الحلم الجميل النهاية السعيدة والشرعية , والطبيعية بالزواج , لولا شرخ الشباب الذى يتميز بالغلو والاندفاع فى كل شىء , والعفوية وقلة خبرة السنين .

فبعدما اتفقا مبدئيًا على الارتباط و كل شىء , وفى ثنايا حديثه طلب منها هذا المحب وبحُسن نية الزواج فى شقتها التى تملكها من إرث والدها , فظنت خطأ - بخبرتها البسيطة فى الحياة - أنه يريد الزواج منها ليس من أجلها ومن أجل حبها الضارب بجذوره فى سويداء فؤاده , بل طمعًا فى شقتها التى لا تملك غيرها فأخذت تتملص منه وتتخلق المعاذير , وفى النهاية قالت له : علينا أن نتريث قليلًا فى مشروعنا المستقبلي لكي يفهم كلٌ منا الآخر , بالإضافة إلى أننا مازلنا صغارًا

فى مقتبل العمر ولا نستطيع تحمل مؤنة وتكاليف الزواج , فذهب مغاضبًا ولم يعقب وأصبح فى طى النسيان .

ولكي يداوى جُرح قلبه الدامي من صدمة الحبيب , ارتمى فى أحضان امرأة تكبره بأربعة عشرة عامًا كاملة , بل ووقع معها في علاقةٍ محرمة , وإذا بنتاج هذه الوقعة المشئومة يتحرك في أحشائها , وقد أعلمته هذه المرأة اللعوب بالأمر وأرغمته على الزواج منها لكى يطمسا معًا معالم جريمتهما النكراء , هل يا تُرى زواجه من هذه المرأة كان من أجل إخفاء معالم وقوعه فى المحرمات ؟ ! ..

أم انتقامًا من محبوبته التى ما يزال قلبه يخفق بحبها ؟ !

مضى حينٌ من الدهر ويلتقي العاشقين قدرًا وعلى غير سابق موعد , فيخفق قلب الفتاة بنار الحب التي تأججت فيه من جديد , لدرجة أن قلبها العاشق كاد يتوقف عن النبض , واعتلى وجهها حُمرة الخجل وتصبب عرقًا , وخيم الصمت الرهيب , وبدأ شريط ذكريات يمر أمامها مر السحاب , وبعد هنيهة من هذه الأحاسيس المضطربة والعواطف الجياشة , جلسا معًا دون أى حديث , وهى تنتظر

منه أن يبدأ بالكلام , فإذا به لا يبالى بها , فبدأت هى بالكلام , وسألته كيف حالك ؟ فأجابها ببرودٍ كبير وعلى عكس ما توقعت : بخير , وأنتِ , كيف حالك ؟ كانت تتمنى لو قال لها : اشتقت إليك يا حبيبتي , بعد لحظات قامت بالرد عليه , وكانت بعينها ألف دمعة تحبسها , وقالت : الحمد لله بخير حال . ثم التفت إليها وقال لها: أود أن أُخبرك بشىء , فقامت بإسقاط عيونها خجلًا وابتسامة بسيطة على شفتيها , ظنًا منها أنه سيخبرها بحبه وأنه يريد الزواج منها , فإذا به يقول لها : أنه متزوج بامرأةٍ أخرى منذ فترة , وقد أسفرت هذه الزيجة عن طفلٍ رضيع وأنه يحب زوجته , وما إن سمعت كلامه حتى صكت وجهها وبدأت بالصراخ والبكاء وشعرت بطعنة فى قلبها جعلته أشلاء متناثرة , و أخذت تجرى بعيدًا عنه , أما هو فاستمر بالجلوس لا يبالى شيئًا , وذهبت إلى منزلها حيرانة آسفة وبقيت لشهورٍ لا تتحدث مع أحد , وامتنعت عن الطعام والشراب ؛ لأنها لم تكن تتوقع حدوث هذا الأمر بمن ظنت للحظة أنه يذوب عشقًا فيها .

ولكنها فى نهاية الأمر تحاملت وتماسكت وأخذت تلملم شتات نفسها الجريحة وتستجمع قواها , ورحلت غير آسفةٍ عليه , وقامت بتغيير عنوانها وأرقام هواتفها السلكية واللاسلكية , وحاولت عبثًا أن تتناسى هذا الأمر برمته ورضخت للأمر الواقع وتزوجت من رجلٍ مفضال , دمث الأخلاق أحبها ورعاها حق رعايتها - وقابلت حبه بإخلاص له ولأولاده , وعاشت مثل الملايين من أقرانها الذين اكتووا بنار الحب , بل إنها حولت قصة حبها المهيض البائس إلى تفوقٍ دراسي حتى أصبحت أستاذة بالجامعة .

ومضت الأيام سراعًا كطيف خيال , واكتشف هذا الشاب أن زوجته التى فرضت عليه الظروف الزواج منها , أن العيش معها شبه مستحيل ؛ لأنها لا تهتم به يومًا من الأيام , فكان بالنسبة لها َكمٌ مهمل , كما أنه لم يأمن جانبها ولا الوثوق بها لأنه لم ينسَ قط ما كان من أمرهما معًا قبل الزواج , فطلبت منه الطلاق , فوافق على الفور , وبعده أن طلقها أصبح يحن لماضيه يريد أن يرجع للحبيب الأولِ فحاول بشتى الطرق أن يصل إليها أو يتصل بها ولكنه لم يعثر لها على أثر وشعر

لقاء بلا موعد

هذا المحب بِجُرم ومرارة ما فعل فى حبه الأول والأخير , وباتت نار الحب تتأجج فى قلبه يومًا بعد يوم لا يخمد لها أوار , وأخذ يبحث عنها فى كل مكان إلى أن اهتدى إليها فى نهاية المطاف .

وعندما التقيا بدأ العتاب بين المحبين مرة أخرى , وأخذ كل واحد منهما يلقى اللوم على الآخر , وارتفعت حدة العتاب بينهما هذه المرة , فقال لها : أنت - تعرفين جيدًا أننى لم أختر زوجتى السابقة بإرادتي , وإنني لم ولن أحب غيرك فى حياتى , فردت عليه وقالت له : كل هذا مجرد عبارات عقيمة اعتاد العشاق على ترديدها قبل اللقاء الأخير , فقال لها : أنت تصرين على ذبحى بسخريتك , فقالت له : أنا مجرد بطلة أدت دورها فى قصتك بكل صدق وغباء وسذاجة . فرد عليها أعلم مدى حزنك وألمك , فأجابته والدمع بعينها : أنت لا تعلم شيئًا , بعض الأوجاع تتخطى مرحلة الألم , أحيانًا تكون قاتلة كالجلطة الدماغية تدمر كل خلايانا ولا يبقى إلا الصمت . هو : خذلتني ظروفي فخذلتك , اغفري لقلبى الذى أحبك . هى : قد أغفر لك يومًا ما .

وفى نهاية اللقاء الأخير قالت له كلمات أشبه بوصية مودع : عند وفاتى اسأل على قبرى , وداوم على زيارته , واقرأ لى الفاتحة , وتذكرنى دائمًا بكل خير وهذا كل ما يمكنك أخذه منى . فقال لها : حسنًا, لكِ ذلك , يا أجمل وأنقى وأطهر وأطيب من عرفت فى حياتى ..!

عـدالة السـماء ..

أَذّنَ المؤذن لصلاةِ الجمعة , والخطيب على المنبر , فإذا برجل بهى الطلعة أنيق المظهر , دقيق القسمات , متين البنية , ذو جثة ضخمة , طويل القامة , ذو لحية بيضاء , وشارب على شاكلتها , يرتدى جلبابًا أسودًا , وأسفل منه سديرى حنطى اللون , وعلى كتفيه عباءةً بنية اللون , يبدو عليه مظاهر الثراء , وموفور النعمة .

استمع إلى الخطبة بخشوعٍ وخنوعٍ , وكانت صلاته على نفس الدَيْدَن , وفور انتهاء إمام المسجد من الصلاة , انتفض قائمًا من مكانه ووقف خطيبًا فى المصلين , وقال فيهم بصوت جَهْوَرِى : إخوتي فى الله , أنا رجلٌ غريبٌ عنكم لا تعرفونني , ولا يربطنى بكم إلا رابطة الأخوة فى الإسلام , وقد هالنى منظر ما رأيت من حالة المسجد المتهالكة .

لقاء بلا موعد

وتسائل , كيف هان عليكم بيت الله أن يكون على هذه الحالة التى تبعث على الحزن ؟ وبِناءً عليه , وكَونى أنى مسلمٌ غيورٌ على بيوت الله , أُشهد الله ثم - أُشهدكم بأنى قد تبرعت من حُر مالى بمبلغ مائةِ ألف جنيه لإعادة إعمار المسجدوسوف آتى الجمعة المقبلة - إن شاء الله - لأعطيكم نفس المبلغ , فأنا ولله الحمد - ميسور الحال وعندى شركات كثيرة متعددة لإلحاق العمالة بالخارج وربحت منها الكثير والكثير . وقد إلت على نفس أن أُنفق جُلها على إعمار بيوت الله , ومساعدة الفقراء والمحتاجين , فهلل المصلون , وتعالت صيحاتهم على جميل صُنع هذا الرجل , وتكالبوا عليه لكى يتناول عندهم الغداء , فاعتذر بأدبٍ جم وقال لهم : إن شاء الله , عند افتتاح المسجد للصلاة , وذهب إلى حال سبيله وسط حفاوة بالغة من أهل القرية , ولم يعد هناك حديث فى القرية إلا عن هذا الرجل الذى قلما يجود الزمان بمثله .

مرت الأيام وأتى الرجل فى موعده , وأنفذ موعوده لأهل القرية , وتبرع بالمبلغ

المتفق عليه , وهى مائة ألف بتمامها , ثم فعل معهم مثلما فعل فى المرة الأولى ووعدهم بأنهم سيأتى بعد شهرٍ كامل ريثما ينتهوا من أعمال البناء والتشييد ويحين موعد الافتتاح .

وبعد الانتهاء فى الموعد المحدد , تمت دعوته فى جمعٍ غفيرٍ من أهل القرية وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة , توجهوا إلى عمدة القرية الذى أعد بدوره مأدبة غداءٍ فخيمة على شرف افتتاح المسجد للصلاة , وترحيبًا بهذا الرجل المعطاء وبعد تناول الغداء , شاعت بينه وبينهم روح التأنس والمطايبة وقام الخطباء يتعارضون التحايا ويرحبون به كلٌ على طريقته إلى أن جاء دوره فى الكلام , فقال لهم : إنى أحبكم فى الله , وأحب قريتكم , وأحب كل من فيها , ولن أتوانى عن خدمتكم مهما كلفنى ذلك , ولكى أبرهن لكم على صدق نيتى , من أراد منكم أن يرسل ابنه أو قريبًا له للعمل فى أوروبا , فأنا رهن إشارتكم ولن يكون إلا مبلغًا صغيرًا من المال لا يتعدى خمسون ألف جنيهًا فقط , والباقى يسدد على أقساطٍ عند

استلامه عمله فى الدولة التى سافر إليها وبالطريقة التى تحلو له , فهلل أهل القرية كالعادة , وكاد لُبهم يطير من فرط كرم هذا الرجل الذى أتى إليهم من زمن فات , ووعدهم بأنه سيعود فى الجمعة القادمة حتى يتدبروا أمرهم ؛ فسارعوا ببذل كل مرتخصٍ وغالٍ من أجل الحصول على المبلغ المطلوب مهما كلفهم ذلك من تضحيات .

وجاءهم الرجل كما وعد ؛ فاستقبله أهلها استقبال الفاتحين , وأخذوا يتهافتون عليه لإعطائه المبلغ المطلوب , فجلس عند أحد وجهاء القرية , وبجواره سائق سيارته الفارهه , وبدأ يأخذ منهم المبالغ المتفق عليها , ويحرر لهم السائق إيصالا بالمبلغ لتطمئن قلوبهم , ويضمنوا حقوقهم .

ومضت الأمور على أحسنِ ما يكون , وحصد منهم ما يربوا على المليون من الجنيهات , ووضع الأموال بكل أريحية فى حقيبته التى أتى بها خصيصًا لهذا الغرض , وأعطى لهم عنوان شركته بالقاهرة , وأرقام هواتفه السلكية واللاسلكية

ووعدهم بأنه سيأتى بتأشيرات السفر فى غضون خمسة أيام , فعلى سقف طموحاتهم , وهاموا فى أحلامِ يقظةٍ لا نهاية لها , وكعادتهم قاموا بتوديعه ولكن هذه المرة كانت أشد حرارةً من المرات السابقة , وانشقت الأرض وابتلعته .

وبعد انقضاء المدة المحددة , ولم يكن هناك حِسٌ ولا خبر عن الرجل المفضال الذى سيقيل القرية من عثراتها , بدأ الشك يتسرب إلي أهل القرية , وعندما .. ازدادت شكوكهم أكثر وأكثر ونفدت كل الأعذار ؛ لم يجدوا بدًا من انتخاب بعض شباب القرية للسفر إلى القاهرة على العنوان الذى أعطاه لهم إياه وبالفعل سافروا إلى القاهرة لإجلاء غموض سبب اختفاء رجل المجهول , فلم يعثروا له على أثر ؛ كأنه فص ملح وداب , فرجعوا بخفى حنين يجرون وراءهم أذيال - الحسرة وخيبة الأمل المنشود , وعندما علم أهل القرية وقع عليهم الخبر كالصاعقة ؛ فقد باعوا كل ما يملكون - على فقرهم - من أجلِ غدٍ أفضلٍ باسم فإذا بحياتهم أصبحت أسوأ مما كانت , واسودت الدنيا فى أعينهم .

وأصبحت القرية فى مأتم عام , يخيم عليها حالة من الحزن , وبدأ يتساءل العقلاء منهم , هل ما حدث عقابٌ من الله ؟ عندما تقاعسوا عن إعمار بيت الله , أم أنه اختبار من الله لهم ؟ وفى نهاية الأمر استقر رأيهم على أنه اختبار من الله لهم واستعوضوا هذه الأموال عند الله , واعتبروا أنهم انفقوها على بناء بيته سبحانه وتعالى , فأصبح المسجد مزدان بهذا الثوب القشيب , وأن أموالهم لم تذهب هباءً فما عند الله خيرٌ وأبقى , فهدأت نفوسهم وفوضوا أمرهم إلى الله .

وكأن السماء كانت مُفتحة لهم الأبواب , فلم يخيب الله رجاءهم , فتم القبض على هذا النصاب المحتال الذى تاجر بدين الله , وتلاعب بأحلام البسطاء الذين وضعوا فيه ثقتهم , وتم الحكم عليه بالسجن ومصادرة كل ما يملك من عقارات وأموال وبعد بضعة أشهر فى محبسه , أصيب بداءٍ عضال احتار الأطباء فيه ففارق الحياة على إثره , جزاءً وفاقًا على ما اقترف من الإثم فى جنب الله .

ومن عظيم لطف الله بهؤلاء الضعفاء , وجد رجال المباحث أسماءهم فى بعض

الأوراق المتواجدة بمكتب هذا المحتال , والمبالغ التى حصَّلها منهم , كلُ أحدٍ باسمه , وتوقيعه , فأُرجعت الأموال المغصوبة إلى أهلها , وعاد الحق إلى أصحابه وعم الفرح والسرور والحبور كل أرجاء القرية , وهرعوا جميعًا إلى المسجد وصلوا صلاة شكرٍ لله سبحانه , وحمدوه على لطفه بهم , إنها حقًا عدالة السماء التى تنام ..!

(الكاتب في سطور)

دكتور / عبد العزيز مرسى على ..

- من مواليد قرية الضهرية - مركز إيتاي البارود - محافظة البحيرة .

- حاصل على ليسانس الآداب - جامعة طنطا - قسم التاريخ - بتقدير جيد .

- حاصل على درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة طنطا - بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة .

- حاصل على درجة الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة طنطا - بمرتبة الشرف الأولى .

- باحث فى التاريخ والحضارة الإسلامية .

- يعمل مدرسًا للتاريخ بوزارة التربية والتعليم .

- عمل صحفيًا بجريدة جماهير البحيرة وأثرى الجريدة بالعديد من المقالات .

عن تاريخ محافظة البحيرة وكفاحها على مر العصور , وكذلك تاريخ العديد من مدنها .

- نشرت له بعض القصص القصير بجريدة أخبار الأدب .

- نشرت له بعض قصص الأطفال بمجلة قطر الندى (المتخصصة فى أدب الأطفال التابعة لوزارة الثقافة).

- كتاب الأطعمة والأشربة فى مصر فى العصر الفاطمى (تحت الطبع) .